الكلمة الشهرية

بقلم : عبدالعزيز ناصر عبدلي

صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة

إنَّ الحمد لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومَن يُضلِل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

قال الله تعالى : {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} . [البقرة (138)]

ما أبلغ هذه الآية لمن تدبرها ، والقرآن لا ينتفع به إلا بتدبره فكيف حالنا مع هذه الآية فو الله لو فهمناها وعملنا بها لصلحت أحوالنا كلها واستقامت حياتنا .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله : "«الصبغة» معناها اللون، وقالوا: المراد بـ{صبغة الله} دين الله، **وسمي «الدين» صبغة لظهور أثره على العامل به، فإن المتدين يظهر أثر الدين عليه: يظهر على صفحات وجهه، ويظهر على مسلكه، ويظهر على خشوعه، وعلى سمته، وعلى هيئته كلها، فهو بمنزلة الصبغ للثوب يظهر أثره عليه.**

وقيل: سمي صبغة للزومه كلزوم الصبغ للثوب ، **ولا يمنع أن نقول: إنه سمي بذلك للوجهين جميعاً: فهو صبغة للزومه، وهو صبغة أيضاً لظهور أثره على العامل به** .

يعني : الزموا صبغة الله ، ولا يصدنكم هؤلاء عن دينكم **وأضيفت «الصبغة» إلى الله، لأنها منه: فإن الشريعة جاءت من الله، ولا أحد يشرع للخلق إلا خالقهم** ا .هـ.

إن من أعظم نعم الله جل وعلا على العبد أن يهديه الصراط المستقيم ، وهو الصراط الذي رسمه الله تعالى وشرعه وجعله موصلاً إليه دون غيره ودالاً عليه ، وهذا الصراط المستقيم والدين القويم يُكسب القلب والقول والعمل صِبغة خاصة تظهر على كل من التزمه وسلكه، **فترى السالك لهذا الصراط اعتقاداته وأقواله وأفعاله على وفق مراد الله تعالى و محابه**، فهذا مراد الآية : {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً } قال الشيخ السعدي في تفسيره : أي: الزموا صبغة الله، وهو دينه، وقوموا به قياما تاما، **بجميع أعماله الظاهرة والباطنة، وجميع عقائده في جميع الأوقات، حتى يكون لكم صبغة، وصفة من صفاتكم** .

فتأمل بارك الله فيك دلالة هذه الآية إنها تدعوك لالتزام الدين كله ظاهرا وباطنا .

وما الذي يوجبه ذلك ؟

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى : فإذا كان صفة من صفاتكم، **أوجب ذلك لكم الانقياد لأوامره، طوعا واختيارا ومحبة، وصار الدين طبيعة لكم بمنزلة الصبغ التام للثوب الذي صار له صفة، فحصلت لكم السعادة الدنيوية والأخروية** ، لحث الدين على مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ومعالي الأمور، فلهذا قال - على سبيل التعجب المتقرر للعقول الزكية-: {وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً} أي: لا أحسن صبغة من صبغته ا .هـ .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تفسيره : ومجيء الاستفهام بمعنى النفي أبلغ من النفي المجرد، لأنه يتضمن التحدي، فإن القائل إذا قال: «ليس مثل زيد بشر» ليس كقوله: «مَنْ مثل زيد مِن البشر؟!»، الثاني أبلغ: كأنه يتحدى المخاطَب أن يأتي بأحد مثله. ا.هـ

فأي صبغة أنت تتحلى بها انظر و تأمل إلى هذا النموذج يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ البديع ذكره الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في تفسيره :

وإذا أردت أن تعرف نموذجا يبين لك الفرق بين صبغة الله وبين غيرها من الصبغ، فقس الشيء بضده، فكيف ترى في عبد آمن بربه إيمانا صحيحا أثر معه خضوع القلب وانقياد الجوارح فلم يزل يتحلى بكل وصف حسن وفعل جميل، وخلق كامل، ونعت جليل، ويتخلى من كل وصف قبيح، ورذيلة وعيب ، **فوصفه**: الصدق في قوله وفعله والصبر والحلم والعفة والشجاعة والإحسان القولي والفعلي، ومحبة الله وخشيته وخوفه ورجاؤه فحاله الإخلاص للمعبود، والإحسان لعبيده، فقسه بعبد كفر بربه، وشرد عنه، وأقبل على غيره من المخلوقين فاتصف بالصفات القبيحة، من الكفر، والشرك والكذب والخيانة والمكر والخداع وعدم العفة والإساءة إلى الخلق في أقواله وأفعاله فلا إخلاص للمعبود ولا إحسان إلى عبيده.

فإنه يظهر لك الفرق العظيم بينهما، ويتبين لك أنه لا أحسن صبغة من صبغة الله، وفي ضمنه أنه لا أقبح صبغة ممن انصبغ بغير دينه.

وفي قوله: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} بيان لهذه الصبغة، وهي القيام بهذين الأصلين: **الإخلاص والمتابعة**، لأن "العبادة "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة، ولا تكون كذلك، حتى يشرعها الله على لسان رسوله، والإخلاص : أن يقصد العبد وجه الله وحده، في تلك الأعمال، فتقديم المعمول، يؤذن بالحصر.

وقال: {وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ} **فوصفهم باسم الفاعل الدال على الثبوت والاستقرار، ليدل على اتصافهم بذلك وكونه صار صبغة لهم ملازما.** ا.هـ

فيا طالب العلم ـ علم الكتاب والسنة ـ لا بد أن يرى أثر العلم الذي تطلبه على حياتك كلها فتكون ممن تشمله هذ الآية ، قال الحسن البصري : (قد كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرى ذلك في تخشعه و هديه و لسانه و بصره و بره). [شعب الإيمان للبيهقي 291/2]